طبيعته وتجعله يشكك بمنطلقاته ، الا على مستوى الاندماج الشخصي كما لاحظنا في الحرب الاخيرة ، حيث « اضطر » الشاعر الى الانخراط بالعمل السياسي ، دون ان يجد وسيلة ، رغم المحاولات ، لتفتيت القيم الكبيرة الى اجزاء تصب في ضرورات الوظيفة السياسية ٠

هكذا كان سعيد عقل في الحرب « ملهما » و « موحيا » ولم يكن قائدا سياسيا ٠ وحين كان يخاطب مقاتليه انما كان يحاول ان يبعث فيهم الروح الكامنة فيهم ويدعوهم الى السمو سواء في المحبة او الحقد ٠

صحيح ان « الملهم » لم يتخل عن اي من آرائه حول الابداع والنخبة ابان فترة الحرب، لكنه اقترب من العامة ، بحكم انخراطه السياسي ، اقترابا احدث بعض الخلل في نظريته حول « خطر العامة على أصحاب التعاليم الرفيعة » ٠ ما يبرر هذا الخلل الجزئي : نبل المناسبة ، فالحرب هي لحظة ابداع ، او لحظة صراع بين قوى مطلقة العنفوان واخرى مطلقة الهوان ، « بين جبابرة واقزام » ٠ لهذا رأى الشاعر ان القوى التي يؤيدها انما تحاول ، مرحليا ، ان تنصرف عن تفاهة العامة وتنخرط كيانيا بالمطلق ٠

الكلام ذاته الذي قاله سعيد عقل في العام ١٩٥٤ حول النخبة ، يعود شارل مالك ويؤكده في العام ١٩٧٧ « المثقف اذن ، يعيش في القمم مع اهل القمم ، ويملك من مقاييسه المستقلة ، المستمدة من أهل القمم انفسهم ، القدرة على تعيين ما هي القمم ومن اهلوها»٠

هذا الكلام قاله شارل مالك في معرض تقديمه « لقصر الثقافة » ، المؤسسة الثقافية الاكثر « رفعة » بين المؤسسات التي ابتكرها سياسيو « الجبهة اللبنانية » ٠

واذا كان سعيد عقل يعبر في كلامه عن النخبة عن مفهوم للثقافة فانه ينطلق في كلامه من وهم ايديولوجي غير موعى تماما ، وغير آبه بشكل كلي الى وظيفة هذا الكلام ودوره على الصعيد السياسي ٠ ان سعيد عقل منسجم في كلامه هذا مع تصوره للانسان الخارق ، المطلق القدرة ، الكلي القيم ، ومن الطبيعي ، انطلاقا من هذا التصور ، ان يكون للنخبة المختزنة بعقلها للمطلقات جميعا ، هذا الامتياز الذي يجعلها تشكل صنفا خاصا من البشر ٠

هذا الفهم لطبيعة المثقف ، الذي يعزل المثقفين « طبقة » متميزة اصلا عن سائر الطبقات الاجتماعية ، يفترض نوعا من النبوة او الرسولية ، المثقف اكثر التصاقا بما يلهم ، لانه استطاع ان يتمثل مجموعة القيم التي لا يمكن تمثلها الا بالارتقاء فوق مستوى العلاقات البشرية اليومية ٠ انه « يعيش في القمم » كما يقول شارل مالك ، وبالتالي ، فانه يعيش في القيم مع أهل القيم ٠ وقد يكون هذا التصور للمثقف او المبدع قديما قدم الاتجاهات المثالية ٠ ولكن المثاليين في الخارج استطاعوا ان ينفذوا الى اكثر الامور دقة وبقيت المثالية بالنسبة اليهم خلفية ثابتة لا تحضر في النصوص الا بما يقتضيه التلحيل المتقصي لامالهم ونصوصهم ٠ ولكن عند سعيد عقل وشارل مالك ومجموعة المثاليين اللبنانيين لم تتفرع المثالية الى موضوعات تفصيلية ، بل بقيت المخاطبة عندهم ، او بقيت اعمالهم ، تستمد من المثال المطلق نفسه ٠ اذ برأيهم ، ان المطلق لا يتوزع في العلاقات اليومية والاحداث ، بل يحضر فقط في عليائه ، واية محاولة لتفتيت هذه العلياء في موضوعات راهنة تكسر القدسية التي تتحلى بها العلياء ويتمتع بها المثقف ٠

هذا الموقف من الثقافة يحضر في الاعمال الثقافية التي تنتج ، ويتسرب الى عناصر القصيدة عند سعيد عقل ، بدءا بالمضمون النبيل وصولا الى الشكل الذي يماثله نبلا ٠